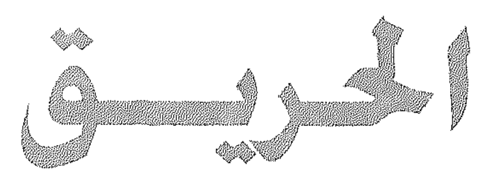
عبدالوهاب البياتي



وقصائد أخرى

Bibliotheca Alexandrina
0111636

دار سحر للنشر

عبدالوهاب البياتي

الحريــق

وقصائد أخرى

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية

رقم التصنيف 892.71

ب ي ح

٤٢٠٦٣

دار سحر للنشر

©جميع الحقوق محفوظة
لدار سحر للنشر
أفريل 1996

الحريق

الذئب

ولمحتُ في عينيكِ
إنساني
الضائع ، المتهافت ، الفاني
ذئباً يدب إلى كنوزك في
أعقاب ليلٍ :
« كان إنساني ! »
وتغمغمين :
« . . . وكان يهواني »
ومن الظلام تفوح أغنيةٌ
يلغو بها المذياع في الحانِ :

كنزي الوحيد

حمامتي ، حلمي !

يا أخت قلبي المظلم الجاني ،

يا نار أشجاني !

رديّ عليّ ، عليّ إنساني »

وتناثرتْ خصلٌ معطّرةٌ

وعلى السرير انهد ظلانِ

وعواء حيوانِ

وتغمغمين ، وأنت شاحبةٌ

مسحوقةٌ : « . . . وغداً سينساني ! »

ويغوص في نهديك مخلبه

ويموت في عينيكِ

إنساني .

رجل وامرأة

يسقط الثلج على مدخنة البيتِ
وفي بهو المرايا
امرأة منتظرةْ
رجل في دمها ، يحرث ، مأخوذاً
حقول الجسد المزدهرة
رجل يولد من أضلاعها
يسكن فيها
يختفي في الذاكرة

نابضاً في قطرات دمها المفترسة

صاعداً كالشجرة

في خلاياها وفي أوصالها المرتجفة

رجل عانقها

فاشتعلت في دمها ، نارُ الفصول الأربعة .

صورة جانبية لعائشة

تُخفي وراء قناعها وجهَ الملاكْ
وملامح الأنثى
التي نضجت على نار القصائد
إيقظت شهواتها ريحُ الشمال
فتجوهرتْ تفاحةً / خمراً
رغيفاً ساخناً
في معبد الحب المقدّس
أدمنت طيب العناق

ظهرت بأحلامي ، فقلتُ : فراشةٌ
رفّت بصيف طفولتي
قبل الأوانْ
وتقمّصت كل الوجوهِ
وسافرت / بدمي تنامَ
قديسة تنسل في جوف الظلام
لتعانق الصنم المحطّم
تنشب الأظفار في الحجر / الحطامْ

ياقوتةٌ / فَمُها / تشع طريةً /
نار الحقول /
ضفائرٌ معقودة /
عينان تضطرمان من فرط الحنان
وجه وراء قناعه ، يخفي « مدائن صالحٍ »
وحدائق الليمون في أعلى الفرات

أمضيتُ صيف طفولتي

فيها ، وأدركني الشتاء

وحملت في منفايَّ بعد رحيلها

ذهب القصائد والرماد .

١٩٨٧ ـ ١٩٨٨

نار من داغستان

راقصة من أرض السحر الأسود جاءت
تشعل ناراً
في أرض السحر المشهود
شفتاها عسل ونبيذ

قالت للساقي المأخوذ :

زدني عسلاً ونبيذاً ، فالليل يطول ،

قالت عيناها للنور

زدني نوراً ، فأنا جائعة للنور

قالت للعود :

زدني حباً ، فالحب وجودي

وبدون الحب أموت

قالت : سأقول

لكنني ، لا أدري ، ماذا سأقول ؟

فالريشة فوق العود

وكلانا / مفقود .

سر النار

في آخر يوم ، قبّلتُ يديها
عينيها / شفتيها
قلتُ لها : أنت ، الآنْ ،
ناضجة مثل التفاحة
نصفك : إمرأةٌ
والنصف الآخر ليس لهُ وصفٌ

فالكلمات

تهرب مني

وأنا أهرب منها

وكلانا ينهار

لطفولة هذا الوجه القمحي

وهذا الجسد المشتعل الريان

أبتهلُ الآن

وأقرّب وجهي

من هذا النبع الدافق ، ظمآنْ ،

في آخر يوم ، قلتُ لها :

أنتِ حريقُ الغاباتِ

وماءُ النهرِ

وسرُّ النارْ

نصفكِ ليس له وصفٌ

والنصف الآخر : كاهنة في معبد عشتارْ .

١٩٨٦-٥-٢٧

القيثارة السومرية

- ١ -

تقولُ « أميمةُ » هذا الهوى

لنا في شتاء المنافي رمقْ

نبيذ وخبز / هو المشتهى

إلى جسد جاع حتى استدق

فها أنا عارية في الظلام

ونهدي بهِ جائعاً يلتصق

وها هو في عريه ساحر

يغوص معي ضارباً في العمق

أراني في حضنه وردة

يعانقني قبل أن أحترق

بتفاح صدري تمرُّ يداهُ

وفي باطني عينهُ تأتلق

يداعبني مثل قيثارة

ويحملني نـجمة للأفق

« تملكني وتملكته »

فما هو إلاّ ملاك صدق

وما هو إلاّ عذابُ الوجود

وبرق على جسدينا اندلق

على باب « دلون » أبصرتهُ

وأبصرني ربة للألق

وعاهدته أن نطيل العناق

وأن لا نفيق ولا نفترق

وها نحن إثنان في واحد

وها أنا في حضنه أنزلق

« أحبك » قالت ، وراح الصدى

يرددها في احتضار الغسق

ضفائرها اشتعلت في يدي

وأدركها في العناق الشبق

فقالت : لماذا يموت الربيع

إذا كان لي مثل هذا العبق

حديقة « ساڤو » أنا ـ طفلة

وأنثى تضاجع نجماً خفق

توسّدني وتوسدّته

وغبنا معاً في سرير الأرق

فيا مطر الحب ، أمطر عليّ

وبلل جفوني بضوء الشفق .

- ٢ -

فقلتُ لها : إن هذا البهاء
يليق بسلطانتي العاشقة
رأيتك في « أور » قيثارة
وفي النار مخلوقة خالقة
وفي باب « دلمون » عرّافة
وسيدة الشهوة الحارقة
فكوني لي البحر والأرخبيل
وكوني لي البحر والصاعقة .

الساحرة

-١-

لا تبطلي السحر الذي بيننا

وتطفئي المصباح في الدربِ

حمامة أنتِ ، وعش أنا

منقارها الأحمر في قلبي

ينقر حتى لا أرى مهرباً

إلاّ بأن أموت في الحب

جئتك من بابل مستغفراً

فهل تصرين على صلبي ؟

ها أنذا أقبع في حانة

أقتل وحش الليل بالشرب

يموت ضوء الفجر في بابها

وتشرق الشمس من الغرب

أعود للبيت وحيداً كما

يعود جندي من الحرب

أراك في المرآة تفاحة

شهية نائمة قربي

ألمسها لكنها تختفي

وعطرها يفوح من ثوبي

أقول للمرآة ماذا جرى ؟
وما الذي يدور في الغيب
لا تبطلي السحر الذي بيننا
حسبي الذي ما قد جرى ، حسبي .

-٢-

ولدتُ في المنفى وها إنني
أموت في مملكة السحر
علّقت قيثاري على بابها
وامتلكتني ربّة الشعر

أصبحت من فرط احتراقي بها :

نهر جنون في دمي يجري

كتابتي رسمٌ لأصواتها

وبوحها الهامس في الفجر

في أي برج ولدت ، وجهها

يقول للسائل لا أدري

ترنو إلى البعيد ، لكنها

تقرأ ما يجول في فكري

عيونها تغوص في باطني

ويدها تعبث في شعري

الحجر الأخرس في بابل

كلّمني بلغة الطير

لمّا رآها في طقوس الهوى

تبكي على « تموز » في السر

عائدة من عالم السحر والـ

غموض والمدائن الخضر

قلت لها : من أنت ؟ قالت : أنا

ساحرة سقتك من خمري

منازلي هناك ، فاذهب لها

لعلها تشفيك من سحري

شيطانة كانت لشعري ، أرى

عيونها في الصحو والسكر

أمسكتها هيمان في غمرة الـ

إحباط والجنون والقهر

كشفت عن قناعها في الكرى

قبّلت فاها وهي لا تدري

حتـى إذا ما متُ عادت إلى

بلادها لتصطفي غيري .

قراءة في سفر التكوين

المحور الكوني فوق سرة

الأرض

كما القرطاس تحت بارق

القلم

يخصب في لمسته وجودها

المسكون بالعدم

يعيد بدء الخلق في عناقه

يتوج الجنين بالأنوار

والظلم

يرسم عينين

ووجهاً طافحاً بوجع

الخلق

يعيد رسم ما أهمله القلم

يصرخ مأخوذاً

فهذي الأرض في شهوتها

للمحور الكوني ، مدّت

يدها

فانحسر الوجع :

أغمض عينيه

رآها تحته

عارية

عيونها بحيرة يطير في

سمائها البجع

تمارس اللعبة من أولها

كذئبة

تأكل لحم رجل

أشفى على الغرق

قال لها : عودي إلى جوهرك

الفاني

فأنت الموت

والنموذج البدئي للحب

وأنت النار والشهوة

والجسد

وغاص في أعماقها

فاشتعلت

تعانق الأبد .

من بعض ما أهمله أبو فرج الأصبهاني
في كتاب [الأغاني]

-١-

ضنّت عليه بقبلةٍ

لكنها كانت لهارونَ الرشيد عشيقة

ولزوجه

عرابها كان الوزير

وكان ، أحياناً ، يغش

فيمتطيها

حاملاً بقرونه

عبء القضيّة والقضيب

-٢-

كانت « جنان » عشيقة لأبي نواس

لكنهم كذبوا

فقالوا : إنها كانت تفرّ

إذا رأته مرنّحاً سكران

في قاع المدينة

أو تسول قبلة منها

وعانق طيفها من ثقب بابْ

كذبوا : « جنان » بحبه احترقت

وضاعت

أصبحت مجنونة

تتسقّط الأخبار عنه

تطوف في الحانات

في زي الغلام

يلوطها الشعراء والمُجانُ

حتى تلتقي بأبي نواس

فإذا غفا الساقي

وهوّم بعضهم

صرخت بهم :

« من منكم هو ؟ »

هكذا كانت تقول لمن تأخر أو تقدّم للعناق .

-٣-

الكبش بين نعاجه
يختار من كانت هي الأصبى
ويهجرها إذا حبلت
وأدركها المخاض
لكن بشار بن برد
كان يختار الأرامل والصبايا
كان يختار الجميع
فالصفر كان بداية ونهاية للكون
في حسبانه
وفجيعة الإنسان في شَرَكِ الوجود .

- ٤ -

كان الكتاب مخضّباً بدم القتيل
وعلى جدار السجن
أبيات لبشار بن برد
كانت الضوء الأخير
ورغيف خبز في الجوار
وكوز ماء
ووراء سور مدينة العميان
كان القاتل المأجور
يمشي في الجنازة
منشداً شعر القتيل .

- ٥ -

مجنون ليلى لم يمت بالحب

مات بغيره

فالموت أبخل ما يكون

مرّت عصور : ها هم العشّاق

في أكفانهم يتنهدون

وأنا أقلّب في جنون

أوراقهم

فلعلهم يتذكّرون .

ـ ٦ ـ

هذه المرايا لا تخون الوجه

إلاّ عندما يأتي الخريف

تتساقط الأوراق فوق زجاجها

وقناع جارية الفصول

وعواء ذئب الموت في الغابات

في جبل الجليد

جعل الطبيعة تستغيث

ماذا سأحمل بعد أن رحلت

سوى هذي المرايا والقناع

من أصبهان لأصبهان

أرق على أرق

ووجه في الظلام

يتلمّس الضوء البعيد

ويختفي بين الزحام .

- ٧ -

محظية عقدت ضفائرها

وغنّت في مقاصير الجواري والقيان :

ذهب الذين أحبهم

وبقيت وحدي لا أزور ولا أُزار

عطش على عطش

وثلج فوق نار

وتر على وتر

وقلب ضائع في اللامكان

ما كنت أعرف قبل حبك ما البكاء .

- ٨ -

قالت : أتتركهم ، كما كانوا ،
يموتون انتظاراً
في الهوامش والمتون
يتحدّثون بنومهم
ويحدثون النائمين
عبث الرواة بهم
أعادوهم إلى الورق العتيق مقيّدين
تُركوا على باب الخليقة خائفين
أصواتهم بُحتْ
ولكني المغني
ظل يعزف

في فضاءات التعاسة

ضارباً في عوده

لحناً يمزّقه الحنين :

هذه المرايا لا تخون الوجه

لكن الوجوه تعددت

من أين لي ؟

« يا دار ميّة »

أن أحب وأن أخون .

الحريق

-١-

(أميمةُ) قالت لمرآتها

ها هنا جثم النسر فوقي

ومرّت مخالبه فوق نَهديّ

تاركة قمراً وصليبْ

تملكني وأنا بين ذراعيه

أسبح مجنونة ببريق النجوم

توغل بي

حارثاً جسدي البكرَ

فكدتُ -

وقد خطف الحب قلبي -

أموتْ

أعانقه وهو عني بعيدٌ

وأشربه

وهو مني قريب

وقالت لمرآتها :

مَنْ ببابي ؟

فقالت لها : أنتِ بالباب

يا وردة المستحيل

وكدت أقول لها :

وأنا غارق بدمي

أستغيث :

أحبك حتى أموت

وهذا الحريقُ

سيبقى هو الشاهد الحي

من بعد موتي

على ما أقولْ .

ـ ٢ ـ

(أحبك)
صارت حَريقَ المنافي
وفي كل منفى
أحبك أنتِ
فوجهك أسطورةٌ
ولدت من قرارة موج الخليج
أداوي بها وجعي
وبها أستغيث .

سيدة الضوء

سيدةُ الضوء إليها يتضرّع عشاقٌ

جاءوا من كل الأزمانْ

لا يشبهها أحدٌ :

تأخذ ، أحياناً ، شكل غزال

أو جسد امرأة يلتف بنهديها ثعبان

يرقد فوق السُرّة

يحرس نار الرغبة

حبات العرق المتلألي

جوع الأعماق

وتسافر ، حيناً ، في النوم

بعيداً

فرساً تتفصّد شهوتها عَرَقاً

تصهل في الأنهار المهجورة

حين نضوب الماء

صاعقة تتخفى بفحيح الثعبان

تظهر في كل الأزمان

آلهة أو أنثى من ضوء

تحمل قوس الصيد

متوجة بلقاح الأزهار

تتساقط / في كل بلاد تظهر فيها / الأمطار

وتقام الأعياد .

عناق

الزمني / الأبدي / اعتنقا
فصعدت صرخة إنسان
إلى غياهب المقدّس / المحرّم / المعبود
وفرّت الطيور
من غابة الرموز
راسمة في زرقة السماء
خيط ذهب مصهور
ونزفت في جسد القصيدة الجروح

فوق بياض الورق المقروح
فقال شيخي : إنها عائشة
عادت إلى دائرة السحر
وفي عودتها
توحّدت بكائنات النور .

الجارية

سقطت مثل تفاحة في الوحول

وتحت ذيول الطواويس

في زمن المرأة / الجارية

كل من نظموا الشعر عاجوا عليها

وطافت عليهم

وكانت هي الساقية

رقصت في فضاءاتهم عارية

تركوا عند سرتها قمراً

ورماد القصيدة والقافية

تبادلها الكلُّ

خانت طفولتها

بمرايا العيون

وبالنظرة الزانية

هفوتُ إليها

وكدتُ / أبادلها الحب في الهاوية

ولكنها سقطت في الوحول

وعادت إلى أصلها جارية .

المقطع الثالث من
مدارات شرقية

قالت : غطّاني الحلاج بشيءٍ
وأنا نائمة
قبّلني
مسّد شعري
أدخل في صلبي وتداً محمياً
أشعل في جسدي ناراً
فرأيت فراشات حول النار تحومُ
وسقف الحجرة يسقط فوقي

وامرأة أخرى تخرج من جسدي

قلت لها : من أنتِ ؟

فقالت : أنتِ أنا

والرجل الجاثم فوقي

ليس هو الحلاج

بل هي صورته في المرآة :

وأنا في الحلم أعانقه

ويعانقني

لكن وزير السلطان

قدّمني للقاضي شاهدةً

ضد الحلاج .

الوجه المقدّس

-١-

مقدّس وجهك

أنت الوثن المعبود

نهران من الغموض والشهوة

في أعماق عينيك يصبان وينبعان

والأرض تدور

وأنا أدور

هل أنت التي أحببتها في زمن آخر

أم أنت التي مارست السحر

على دجلة والفرات في فجر الحضارات

ففاضا ذهباً

أم أنت في طفولتي
كنت بنومي امرأة تمارس الطقوسْ
لم تكبري
وجهك ما زال ، كما كان
بهياً صافياً
يشع منه النور
آخذه بين يديّ
جائعاً
رغيف خبز ساخن
وجهك لي يقول

« تاج محل » أنت

تحت القمر الهندي في ليلة صيف

آيةً في كتب اللاهوت

غزالة ولدت من قبيلة الريح

ومن سلالة الملوك

مقدّس وجهك في معابد المجوس .

ـ ٢ ـ

ها أنذا أقتل نفسي
تحت تمثالك في « اللوفر »
مأخوذاً بنهرين من الغموض والشهوة
في أعماق عينيك
يصبّان وينبعان في المجهول .

الفهرست



General Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina

طبع بالمطبعة الأساسية المنطقة الصناعية . بن عروس تونس

الهاتف ، Tél: 380.201

ISBN : 9973 - 763 - 65 - 3